الفصل الخامس
الشخصية اللبنانية

آراء في الشخصية اللبنانية

اللبناني متين البنيان ، صلب العود قوي الأعصاب ، إذا غشاه الأمر الجليل فلا يدهش له ، وإنما يأخذه بحسن الحيلة ، ويجمع له نواحي الفكر ، لا يرضى بالقليل ، ولا يقنع بالميسور ، ولا يقيم على ذل يراد به فإذا شعر بظلم أو ضاق به العيش ، ولو في وطنه العزيز عليه رحل إلى بلد أبر وأدر واتخذه وطنا ثانيا ، ولو بعد عن مسقط رأسه وهناك يلقي رحاله ، ويجد ويسعى حتى يجمع مالا يغنيه .

ويمتاز اللبناني بحيوية دافقة وميل فطري إلى الترحال واقتحام الأخطار !

وكرم الضيافة عند اللبناني سجية ، فهو يرحب بالضيف ولو كان مجرما أو هاربا من وجه العادلة .

ولا تزال عادة الثأر متأصلة عند أهل القرى في لبنان ، ومن العار أن يطول دم القتيل ! وإذا ما فر القاتل من وجه أهل القتيل ، ثأروا من أخيه أو أبيه ، أو أحد أهله الأقربين ، وكثيرا ما تقوم معارك دامية بين بعض الأسر الريفية نتيجة لأخذ ثأر قتيل من أحد أفراد أسرة قاتله .

واللبناني مساوم ماهر ، ولا بِدَع فَدَمُ التاجر الكيس المداور يجري في عروقه .

ولقد ذكر أحد الرحالين بعد أن زار لبنان ومكث بين أهلها القصة الطريفة الآتية " سال مدرس أحد تلاميذه اللبنانيين الصغار عن حاصل جمع اثنين واثنين .

فأجاب الصبي : هل أنا مشترٍ أو بائع ؟!

ويعتقد الفلاحون اللبنانيون في الأولياء والقديسين ! ويكثرون من النذور لهم وزيارة مقابرهم ، ولقد كتب بعض من زاروا لبنان واختلطوا بأهل القرى فيها يقول : " إن بعض أهل القرى في ريف لبنان يخافون القديسين والأولياء أكثر مما يخافون الله ، وآية ذلك عنده أنهم قد يحلفون بالله فتحنث أيمانهم ، ولكنهم إذا حلفوا بقديس أو ولي فلا تحنث أيمانهم ! (1)

ويحدثنا د. مصطفى محمود عن شخصية اللبناني فيقول : " المثقف اللبناني يحادثك في أسى عن عدم وجود مبادئ وعن عدم تطلع لبنان إلى خطة واضحة ، وهو حديث لمجرد الترف العقلي والاستهلاك الوقتي على قارعة الطريق أما ساعة الجد فإنك تجد أكثر من واحد يقول لك : " صرماية " على كل المبادئ ! ما لنا نحن ومال المعركة نحنا هون بنحب الجميع .

وهي لغة القومسيونجي الذي يبيع للكل ويريد أن يروج بضاعته للكل ..

واللبناني في آخر الأمر له منطق فهو لا يملك سوى منظر جميل ورقعة شاعرية على البحر وليس في لبنان بئر بترول واحدة ، ولا منجم حديد . البئر الوحيدة هي جيوب الزوار ، والوسيلة الوحيدة هي نزحها في رشاقة لتصبح أنظف من الصيني قبل غسيله . هذه هي خطة التنمية ، ولكي تؤتي خطة التنمية أحسن ثمرة لابد أن تكون الصلة بالجميع حسنة ، والترحيب على أشده لأي وارد من أي مبدأ .

---

(1) حسن محمد جوهر " لبنان ، أرضها وتاريخها وحياة شعبها " دار الشعب ص ٧٣-٧٩ بتصرف .

والمواطن اللبناني إنسان حبوب لطيف مرح ، محب للحياة ، محب للرقص ، محب للغناء والمرح والشرب ، وهو يكسب كثيرا وينفق كثيرا .

والطبقة التي تسكن بيروت غالبيتها طبقة متوسطة تشتغل بالتجارة وتعيش في رخاء نسبي ، والطموح الشائع بينها هو طموح مادي وشخصي لا طموح قومي ، والأيديولوجية الرائجة هي الحرية الفردية بلا حدود ، وبلا ضوابط ، والثراء وبأي طريقة .

والمثقف اللبناني مكبل ، ومغلول ، وإقامته محددة ؛ لأنه يعمل داخل شكل اجتماعي غير ملائم بحكم طبيعة تكوينه للتطور . شكل اجتماعي غير طيع يدور في حلقة مفرغة من المتاجرة المادية الحامية بما فيها المتاجرة بالمعنويات ذاتها ، والمتاجرة بالمثقف نفسه .

وقيم المحبة والصداقة والأخوة تختنق في سباق المصلحة وتكالب رأس المال الذي يطحن في طريقه كل شيء ، والشكل الاجتماعي مرتبط بالوضع السياسي والإقليمي للبنان كبلد صغير محدود الموارد تتكسب من حيادها ، ومن عدم انحيازها لمبدأ .. أي مبدأ .

ولبنان كبلد صغير بلا موارد يعتمد على الامبدئية كمورد رئيسي لحياته . اللامبدئية منجم يدر عليه كل فئات العملات من كل بلاد العالم بكافة اتجاهاتها .

وبفضل هذه الامبدئية تتدفق عليه رءوس الأموال الهاربة من رياح الاشتراكية في كل مكان ، والنتيجة رخاء مفتعل مصطنع مؤقت ، رخاء متسلل من الخارج وليس رخاء حقيقيا ناميا من الداخل ، ولا يمكن أن يكون اقتصاد حقيقي على مثل هذه العوامل الظرفية إنه يكون اقتصادا من ورق اللعب لا من ورق البنكنوت . مجرد مقامرة ناجحة على التناقضات العربية الموجودة وهي متناقضات لن تدوم طويلا ،

فمصير الدول العربية إلى وحدة حتمية [1] والرأسمالية العالمية (التي يدور لبنان في فلكها) بدون أسواق وبدون مستعمرات وبدون بترول ومناجم حديد ونحاس ومتأخرة تنهبها وتسرقها (كما هو الحال في حالة لبنان) مصيرها الموت جوعا ، ولن يكون أمامها بعد ذلك إلا أن يأكل بعضها بعضا (وهو ما حدث في لبنان بالفعل منذ أكثر من ثلاثين عاما وإلى اليوم) ولا يمكن أن تعيش لبنان زوجة للكل ، لا يمكن تعيش لقيطة بلا أب بلا أم ، إن طلاقها من عروبتها لن يضمها إلى العالم ولن يجعل مواطنها عالميا وإنما يكون قيدها في دفتر العالم صحيحا بأن تكون نسبتها صحيحة من البداية . والرجل المتحلل من كل الروابط والمسئوليات المطلَّق من زوجته ، المتبرئ من آبائه وأبنائه أصلح للانضمام إلى بار منه إلى الانضمام إلى عالم .

الفن البيروتي (في التجارة) يمسك بيدك ويضعها في جيبك ويخرجها بأي شيء .. أي مبلغ .

الحرية في لبنان خرافة .. الحرية متاحة .. ولكن لا يستطيع أن يحصل عليها إلا من يدفع ثمنها نقداً وعدًّاً من الليرات .. أنت حر في أن ترشح نفسك في الانتخابات ، ولكن في الحقيقة لن تستطيع ترشيح نفسك لأن إدارة المعركة الانتخابية تحتاج إلى نصف مليون ليرة ، والذين نجحوا في الانتخابات الأخيرة فيهم ١٢ مليونيرا ، والطبقة الغنية ممثلة بينهم بكاملها .

([1]) لقد كان د. مصطفى محمود مغرقا في الخيال عندما قال إن " المتناقضات العربية لن تدوم طويلا " فالواقع المر أثبت استمرار التناقضات العربية بل الصراعات العربية ، وأن مقامرة لبنان على تلك الصراعات بدلا من أن تدر عليه رخا كما كان في الماضي جلبت له حروبا طاحنة أهلية (كالحرب الأهلية اللبنانية ١٩٧٥-١٩٩٠) أو خارجية الحروب اللبنانية الإسرائيلية (١٩٨٧، ١٩٨٢ ، ٢٠٠٦)

وإذا كنت فقيرا فلن تجد في مجلس النواب من يمثلك ، وأنت حر في إبداء رأيك .. هكذا يقولون .. ولكنك تكتشف بعد أيام من إقامتك (في لبنان) أنك لابد أن تبيع هذا الرأي لمن يدفع القدرة على تمويل صحيفة تنشر فيها رأيك . [1]

كتب د. مصطفى محمود في نهاية المقال " كتب هذا المقال في بداية الستينات وقد رأينا جميعا ماذا جرى للبنان بعد عشر سنوات من كتابة المقال .. كيف انهار البناء ؛ لأنه لم يكن يقوم على شيء ، كان البريق مجرد ديكور من ورق اللعب " [2]

ويصف الأستاذ محمود أحمد – مدير مكتب وكالة أنباء الشرق الأوسط في واشنطن – بعد أن أمضي عشر سنوات في بيروت متابعا الحرب الأهلية اللبنانية " الشخصية اللبنانية " بقوله : " لقد عرضت لي حالات كان اللبناني خلالها يمارس أقسى أنواع ما يمكن تصوره من أعمال العنف ، والغريب أن هذه الممارسات لم تتطور أو تتصاعد تدريجيا ، وإنما هي بدأت منذ وقت مبكر للغاية حيث اعتاد الناس، منذ الأسابيع الأولى لاندلاع الحوادث يسمعون كلمات وتعبيرات من قبيل القتل، والقنص ، والقتل على الهوية أي لغير سبب سوى الانتماء الطائفي ، والتمثيل بالجثث ، واقتلاع عيون الضحايا إلى غير لك مما يثير الهلع في النفوس ولذلك فإنه لم يكن غريبا بالنسبة لي أن أقرأ فيما بعد في محاضر " هيئة التحرير الوطني " أن سمعة اللبناني في العالم كله قد وصلت إلى الحضيض .

فإذا صح هذا التعميم على مستوى القاعدة فإن التخصيص على مستوى القيادة كان أخطر كثيرا ، فحتى قبل اندلاع الحرب الأهلية ، كانت الأنانية ، والمصالح الشخصية هي التي تتحكم في معظم القيادات السياسية والحكومية والاقتصادية

([1]) د. مصطفى محمود " حكايات مسافر " دار المعارف ط ٣ فصل " بيروت بلد المتناقضات "

([2]) نفسه ص ١١٢

والنقابية وغيرها بحيث شكل ذلك قاعدة في الحياة العامة . وهكذا **أصبحت المناصب الكبرى لا تعدو أن تكون فرصة للثراء حتى على حساب البلد والمصلحة العامة ، رغم أن الجميع كانوا يفعلون ذلك وهم يتشدقون بشعارات الوطنية الرنانة . والغريب أن الصفقات كانت تعقد بشكل يكاد يكون علنيا ، فتفوح رائحتها في كل مكان ويعرف بها القاصي والداني رغم أن البلد كان مازال مزدهرا ومستقرا لا تهدده أخطار منظورة .**

ولا أذكر أنني التقيت بلبناني – قبل الحرب – لم يكن يعرف تفاصيل الصفقة التي عقدها أحد وزراء الأشغال للموافقة – لقاء مبلغ كبير من المال – على شق طريق ارتفعت بسببه أسعار الأراضي على كورنيش بيروت ارتفاعا جنونيا أو قصة وزير الاقتصاد الذي تضخم رصيده في البنك إثر صفقة لاستيراد السكر ، وهكذا .

فلما وقعت الواقعة ، لم يكن للمآسي والآلام والجراح النازفة أن تردع هذه القيادات، أو تسهم في الحد من هذا السلوك الذي استشرى حتى أصبح وكأنه " قيمة " من القيم السائدة في لبنان . بل أن العكس هو الذي حدث ، حتى أن انتهاز الفرص التي وفرتها الأوضاع السائدة ، كان ينظر إليه في أحيان كثيرة على أنه " شطارة لبنانية " أيضا !

وربما يكفي أن أشير هنا إلى نموذجين : أولهما ، قصة الضابط اللبناني الذي انشق عن الجيش فيمن انشق من ضباط وجنود شكلوا ما يسمى بجيش لبنان العربي ، والذي استغل وضعه الجديد في المنطقة التي كان يسيطر عليها فإذا به يجمع المال بسرعة حتى قيل أن والدته كانت تتباهى أمام جيرانها بأن ابنها الذي لم يتجاوز سن الثلاثين إلا بقليل قد تجاوزت ثروته الثلاثين مليون ليرة .

والنموذج الثاني فهو قصة سمعتها من أحد أعضاء حزب الوطنيين الأحرار الذي روى لي أن رئيس الحزب ورئيس الجمهورية الأسبق كميل شمعون ، كان له من بُعد

النظر ما جعله يستورد كمية كبيرة من زجاج النوافذ قيمتها ثلاثة ملايين ليرة قبل الغزو الإسرائيلي للبنان مباشرة فلما وقع الغزو [1] وتكسر زجاج كل البيوت والمباني نتيجة للقصف الجوي المتواصل فإن السياسي العجوز حقق لنفسه أرباحا طائلة ، ومرة أخرى لم يدهشني أن أقرأ فيما بعد ما جاء في المقدمة التي كتبها الزميل " طلال سلمان " رئيس صحيفة " السفير " لمحاضر مؤتمر الحوار الوطني اللذين عقدا في جنيف ولوزان عامي ١٩٨٣ و ١٩٨٤ التي أشار فيها إلى " كميل نمر شمعون " فقال : " وله مكانة ومعجبون ، وجمهور غفير من المؤمنين بحنكته وبراعته وجدارته بالزعامة . وكلما اكتشفوا أو عرفوا عنه المزيد من المباذل وحفلات الخداع والغش ازدادوا إعجابا به ، وكلما سمعوا عن صفقة عقدها ونال نصيبه من السمسرة فيها قالوا بتلذذ وساديَّة " صحتين على قلبه ! الشاطر ما يموت " وحتى إذا ما بدل مواقفه كما يبدل قفطانه واستدار ١٨٠ درجة صاحوا بالإعجاب " الله .. شوفوا المهارة ، والشطارة ، شوفوا الطهارة ، شوفوا العبقرية ، حتى أنه لم يهتز ولم يتلعثم ولم يرف له جفن " . هكذا الرجولة وإلا فلا .. شو بِدْنا بالحكي ياعمي ، النمر بيضل (أي يظل) نمر حتى ولو صار عمره ألف عام .

وربما يكون ما قاله سياسي لبناني محنك مثل رئيس الوزراء الأسبق " صائب سلام " قد لخص ذلك كله منذ وقت مبكر عندما أعلن – منذ البدايات الأولى للحرب الأهلية – أن المخاوف التي استبدت باللبنانيين وأدت إلى اقتتالهم فيما بينهم إنما تعود في جانب كبير منها إلى " الحكم المستهتر وفقدان الثقة به ، لما عُرف عنه من فساد و رشاوى وفضائح وإجرام وحماية للمجرمين .[2]

([1]) كان توقع غزو إسرائيل وشيك في تلك الأيام من عام ١٩٨٢ .

([2]) محمود أحمد " لبنان انهيار أم انتحار " ص ١٩– ٢١

وقد أذهلني بالفعل التعبير الذي سمعته يوما من زميل لبناني نقلا عن حكيم آخر والذي يتلخص في أن " اللبنانية " ليست جنسية أو مواطنة لقدر ما هي " مهنة " .([1])

سمات الشخصية اللبنانية

ومما سبق يمكن أن نلخص شخصية اللبناني في السمات الآتية :-

١- قوة الأعصاب ، وحسن الحيلة ، وعدم الرضا بالقليل ، إن ضاق به العيش في وطنه رحل إلى بلد أبر وأدر واتخذه وطنا ثانيا .

٢- يمتاز اللبناني بحيوية دافقة وميل فطري إلى الترحال واقتحام الأخطار !

٣- اللبناني مساوم ماهر ، وتاجر مداور ، يتاجر في كل ما يدر عليه أجر أو مصلحة حتى ولو ضحى في سبيل ذلك بأخلاقه ومبادئه .

٤- الدين والأخلاق عند اللبناني من الأمور النسبية من السهل أن يضحي بهما في سبيل مصلحته ، فهم يخاف القديسين والأولياء أكثر مما يخاف الله ، وآية ذلك أنه قد يحلف بالله فيحنث أيمانه ، ولكنه إذا حلف بقديس أو ولي فلا يحنث أيمانه !

٥- المواطن اللبناني إنسان حَبُّوب لطيف مرح ، محب للحياة ، محب للرقص ، محب للغناء والمرح والشرب ، وهو يكسب كثيرا وينفق كثيرا .

٦- الطموح الشائع لدى اللبناني طموح مادي وشخصي لا طموح قومي ، والأيديولوجية الرائجة هي الحرية الفردية بلا حدود ، وبلا ضوابط ، والثراء بأي طريقة . يدور اللبناني في حلقة مفرغة من المتاجرة المادية الحامية بما فيها المتاجرة بالمعنويات ذاتها .

([1]) محمود أحمد " لبنان انهيار أم انتحار " ص ١٦

٧- لا يعتد اللبناني كثيرا بقيم المحبة والصداقة والأخوة فمصيرها الهزيمة في سباق المصلحة وتكالب رأس المال الذي يطحن في طريقه كل شيء .

٨- يعتمد اللبناني على الامبدئية كمورد رئيسي لحياته . اللامبدئية منجم يُدرُّ عليه كل فئات العملات من كل بلاد العالم بكافة اتجاهاتها . وسوق لعقد الصفقات البريئة والمشبوهة على السواء والتي تبدأ بالعمالة لحساب الخارج أو الداخل وتجارة السلاح ، ولا تنهي عند المخدرات والرقيق الأبيض .

٩- محب للعنف يمارسه بشتى أنواعه : قتل ، وقنص ، وتمثيل بالجثث ، واقتلاع عيون الضحايا إلى غير ذلك مما يثير الهلع عند جميع الناس إلا عند اللبنانيين – معظمهم – فهي من الأمور المعتادة المألوفة لديه .

١٠- اللبناني أناني محب لذاته ، ومصالحه الشخصية مقدمة على طائفته الدينية أو الحزبية التي هي بدورها مقدمة على مصلحة الوطن عند التعارض بينهما .

١١- إن الكثيرين من اللبنانيين مندفعون في تيار العمالة الخارجية يعملون لمن يدفع لمن يدع الثمن .

١٢- اللبناني متقلب غير منضبط لا يدرك الحدود الفاصلة بين الحرية والفوضى بين " الشطارة " و " الخيانة " بين " الربح " و " الجشع " لا يبالي ولا يراعي مصلحة الوطن .

إن هذه السمات التي تميز الشخصية اللبنانية بشكل عام لا تعني – بالضرورة – أن كل اللبنانيين يتصفون بهذه السمات في حياتهم ومواقفهم طول الوقت " فالنمط المثالي كما هو معروف ليس حقيقة إمبريقية أو قانونا علميا ، وإنما هو أداة تحليلية تهدف إلى عزل بعض جوانب الواقع بهدف إبرازها حتى يتسنى إدراكها بوضوح ، ومعرفة أثرها على الواقع " ([1]).

([1]) محمد عاطف غيث " قاموس علم الاجتماع " .

الشخصية اللبنانية وعلم الطباع (1)

إن أقرب الطباع التي يمكن أن تنطبق على الشخصية اللبنانية هي " الدموي " وهو اللانفعالي الفعَّال ذو الترجيع القريب ، وأهم السمات المميزة لأصحاب هذا الطبع هي:

١- أول ما يُعرف به **الدموي هدوء مظهره** ، وهو يستمد هذا الهدوء من برود عاطفته ، لا قدرته على كبح الاندفاعات العنيفة ، فهو لا يعرف الاندفاعات العنيفة فإذا رأى الناس من حوله يضطربون وينفعلون كان جوابه ابتسامة ناعمة من طرف الفم لا تخلو من شيء من السخرية .

٢- **صوت الدموي هادئ كجملة مظهره** ، فإذا انفعل لم يظهر انفعاله في ارتفاع الصوت بل في اختلاف الحكم ، وإذا نزل به أمر يسير أو خطير لم ينفجر متفجعا بل فكر في الوسيلة العملية للخروج من المأزق ، ولم تزدد ضربات قلبه من ذلك اتساعا ولا قوة .

---

(1) أرسل العالمان الهولنديان : هيمانس ، وفيرزما الأستاذان بجامعة جرونيخ إلى ثلاثة آلاف طبيب من هولندا وألمانيا استجوابا يضم يضم تسعين سؤالا من الأسئلة التي تتناول صفات الطبع ، وطلبا إلى هؤلاء الأطباء بأن يلاحظوا أفراد أسرة من الأسر ، وأن يجيب كل فرد فيها عن الأسئلة التسعين .
وتلقى العالمان (هيمانس وفيرزما) ٢٥٢٣ نسخة مملوءة من هذا الاستجواب تضم كل بيانات عن فرد من الأفراد لاحظه أولئك الأطباء . وبالمقارنة والكيفية و الكمية بين هذه الاستجوابات الفردية وبعد تصنيفها في ثماني مجموعات تبعا للأجوبة الواردة فيها عن الأسئلة المتصلة بثلاث صفات طبعية عدَّها هذا العالمان صفات أساسية بل مقومات أساسية للطبع وهذه الصفات التي أعداها أساسية هي :
الانفعالية ، والفاعلية ، والترجيع .. وقد تصفح " هيمانس " حياة ١١٠ شخصية تاريخية تنتمي إلى جنسيات مختلفة كما أن أعمالها والأسباب التي اشتهرت بسببها متنوعة ، فاستمد منها أجوبة عن الأسئلة التسعين التي اشتمل عليها الاستجواب .
إن نتيجة هذين الاستقصاءين : الاستقصاء الإحصائي ، واستقصاء السِّيَر هي التي بنى عليها " رونيه لوسن " كتابه " علم االطِّباع " ، وأعقبه في الظهور سلسلة من الكتب تكمله وتنهج نهجه ، ويشرف على إصدارها " لوسن " د. سامي دروبي " علم نفس الأدب " دار المعارف ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

٣- **الدموي مهذب في معاملة الناس عادة ، ثم إن ميله إلى المجتمع وحسه العملي لابد أن يجعلا التهذيب واللباقة قاعدة أساسية في حياته .**

٤- **الدموي يعنى بهندامه وأناقته ، وهذا جزء من سلوكه الاجتماعي** ، وهو أكثر الناس ميلا إلى ممارسة الرياضة .

٥- تحتل الرغبة الجنسية في أدب الأدباء من الدمويين مكانا مهما ، حتى ليمكن أن يقال إنه ما من طبع من الطباع ينزل الرغبة الجنسية منزلة أخطر من المنزلة التي ينزلها فيها الدموية ، ولكن الشيء البارز أن هذه **الرغبة الجنسية تبدو في أدب الدمويين عارية لا تتلفع بأثواب من العاطفة ، والعنصر الذي يسمو بالحب لديهم إنما هو الشعور بالجمال** . إن ضعف الانفعالات يحيل الحب بين الرجل والمرأة إلى نوع من الصداقة في أحسن تقدير .

٦- **الحس العملي أبرز صفة يتميز بها الدموي ، فالدموي بارع يعرف كيف يصل إلى المراكز العليا بالدهاء وسعة الحيلة ، ولو لم يملك من المواهب ما يؤهله لاحتلال تلك المراكز**

٧- الروح العملية تمتد في الحياة الاجتماعية براعة في العلاقات بالناس ، **فالدموي يحب التردد على الصالونات والاختلاف إلى المجتمعات ، ويحب الحديث بين الناس .**

٨- والدموي سياسي يحب التردد إلى المجتمعات الراقية ، والدبلوماسية هي الميدان المفضل الذي يؤثر أن ينفق فيه نشاطه ، ومما يسهل نجاحه في الدبلوماسية **أن عقله العملي مبرأ من العدوى العاطفية وأنه بعيد عن الوساوس الأخلاقية التي قد تصده عن إنفاذ ما عقد النية عليه بعد حساب واضح ، فهو لا يبالي العواطف الإنسانية إلا بمقدار ما يستطيع تسخيرها لمآربه .**

٩- **والدموي لا يتورع عن التقلب بتقلب الأحوال والظروف تحقيقا لمصلحته ، إن له بفضل الترجيع القريب مرونة هائلة في التقلب والتذبذب .**

١٠- **إن الدموي ريبي (شكَّاك) في ميدان الدين ، وريبي في ميدان الأخلاق ،** وإذا نظرنا في أدب الدمويين وجدناه يعبر عن النسبية التي يمكن وصفها بالسلبية .

١١- **تتجلى تعددية الدمويين في ميلهم إلى الحقائق المجزأة** ، إنهم إن أحبوا الطبيعة ودافعوا عن قيمة العلم ضد الدين .فإن ميلهم إلى استطلاع الطبيعة يظل من فقدان التنظيم استقرائيا مجزأً

١٢- يعتبر الدموي القَبَليِّة الفكرية ينبوع جميع الأخطاء ، وينتقص من قيمة الرياضيات ، وينفر من الميتافيزيقا ، أي يحارب روح التنظيم والمذهبية مع أنها ضرورية هي نفسها لبناء العلم ، ولعل هذا هو ما يفسر تلك الظاهرة ، وهي أن الدمويين إن كان بينهم عدد كبير من العلماء فإن بينهم عددا كبيرا ممن **يؤثرون أن يحرقوا البخور للعلم على أن ينشئوا العلم .**

١٣- **يؤثر الدمويون التفكير النقدي على العمل الخالق المبدع .**

١٤- لا نستطيع أن نحصر الدمويين في اختصاص ضيق بعينة فإن ما يتمتع به فكرهم من المرونة ، وما يميل إليه من استطلاع تغلب عليه التسلية أكثر مما يغلب عليه العمق ، وهناك عمقان يمكن أن يجتذبا الفكر : الأول هو الوصول إلى الخلجات المستترة من الحياة النفسية ، وهذا هو عمق النفس ، والثاني هو اكتشاف المبادئ الثاوية وراء الظواهر بالتنظيم وهذا هو عمق العقل ، **والدموي لا يملك لا الغنى العاطفي ولا التنظيم النظري** ، وهو من أجل ذلك يعوزه العمق ، وإذا كان الدين والميتافيزيقا يستمدان قواهما من هذا العمق ، فلا بد أن يظل الدين ، وأن تظل الميتافيزيقا غريبين عن العقول التي لا تحركها هذه القوى .

١٥- إن عقل الدموي يتبعثر بين الحقائق المتفرقة التي لا يشعر بحاجة إلى ربط بعضها ببعض ، إنما يطوف بينها تبعا لمصادفات التجربة ، كما أنه ليس به أي قلق عاطفي عليه أن يهدئه : فهو **لا يشعر شعورا قويا بالخوف من الموت ، ولا بالألم لموت الآخرين ،لأنه بارد العاطفة موضوعي لا يفهم الموت إلا على أنه حادثة تقع.**

١٦- **الدموي ضعيف العاطفة القومية ، إنه يتأرجح بين الفردية التي تصرفه عن المشاركة في العواطف القومية الجماعية ، وبين النزعة الإنسانية التي تتنكر للقومية إذ تفيض عنها وتربو عليها .**

١٧- **والدموي يتصور الحب على أنه علاقة بين الجنسين يتساقيان فيها اللذات ما حلا لهما ذلك وإلى أن يسأماه ، والعلاقات الغرامية لدى الدموي متقلبة بتأثير القريب ، وباردة بتأثير ضعف الانفعالية ، لا تقيم وزنا لما في أنفس النساء من عاطفة عميقة ، ولا تحفل بالمصالح القومية والاجتماعية التي تكفلها الأسرة .**[1]

لماذا لا يوجد رأي عام موحد في لبنان ؟

الرأي العام الموحد لأي دولة لا يوجد إلا إذا وجدت التربية الصالحة لظهوره والتربة الصالحة في رأي توفيق الحكيم " هي الأمة الموحدة في جنسها ، وعقائدها ، وتقاليدها، وآمالها ، وأهدافها .

والرأي العام يربى كما يربى كل طفل صغير بالتعليم الشامل الذي يكون العقلية الواحدة الشاملة بهذا النوع من التعليم يشب الرأي العام على تفكير واحد يُمَكِّنه من أن يَبُتَّ في مسائله برأي واحد سريع قاطع " .

([1]) انظر الفصل الثالث " بين علم الطباع والأدب " سمات الدموي د. سامي دروبي " علم نفس الأدب " دار المعارف ص١٩١-١٩٦ .

وإذا طبقنا الأسس التي وضعها توفيق الحكيم لوجود رأي عام موحد على الشخصية اللبنانية فإننا نجد أن كل ما في لبنان يتنافى مع وحدة الرأي .

كيف يتأتى توحيد الرأي العام في لبنان والأعراق مختلفة ، والديانات والمذاهب مختلفة كذلك ، حتى التربية والتعليم والثقافة تختلف من طائفة لأخرى .؟!!

كيف يوجد الرأي العام الموحد في لبنان وكل شيء في هذا البلد المنكوب يجعل هذا المولود مخلوقا مشوها مضطربا مبلبل الفكر مشتت الرأي ؟! لأن كل شيء في لبنان له نسخ متعددة وأثواب مختلفة فلديه تعليم أجنبي وحكومي وديني : ماروني ، وشيعي وسني ودرزي ، وفي لبنان أحياء أوروبية مسيحية في الشمال يرفل سكانها في الترف والنعيم ، وأحياء عشوائية شيعية في الجنوب يعيش سكانه تحت خطي : الفقر و النار ، وأحياء سنية في الوسط بين هذا وذلك .

وكل هذا الخلط في الأوضاع والتعليم والتربية والإطار الذي يعيش داخله الناس في لبنان جعل لهم بالضرورة عقليات مختلفة ، كل عقلية تفكر تفكيرا خاصا وترى الدنيا من زاوية منفردة ، وكان من أثر ذلك أن حُبِس كل فرد داخل حلقة منفصلة من وضعه الذي نشأ عليه يحسب الدنيا دنياه ورأيه هو وحده على حق لا يفهم غيره ولا يشعر بشعور مواطن آخر ، وبتفكك عقلية الشعب اللبناني إلى عقليات متعددة مختلفة ومتضاربة تم تفكيك الشخصية اللبنانية وانحلالها .

***